حرب لبنان 2006 ومستقبل الحرب: التعقيدات بالنسبة للجيش وسياسة الدفاع [الجزء الثالث]

إدارة حزب الله للإستراتيجية ومسرح العمليات في لبنان، 2006

إن الأهداف الإستراتيجية الكبرى لحزب الله موضوع خلاف مهم بين المحللين الغربيين. فالبعض يرى حزب الله كمؤسسة مستبدة مطلقة يعكس سلوكها مواصلة لا مهادنة فيها لأهداف مركزة على تدمير إسرائيل وتأسيس حكومة دينية إسلامية عبر المنطقة؛ قد تختلف التكتيكات، عاكسة حدود الممكن في أي وقت محدد، لكن بحسب وجهة النظر هذه، فإن الأهداف ثابتة ومتطلبة جداً. ويرى آخرون أهداف حزب الله نفسها على أنها أكثر محدودية وبراغماتية، مركزاًعلى دمج موقفه السياسي في الحياة السياسية اللبنانية ومكيفاً صراعه مع إسرائيل بحسب الضرورة ليتناسب وحاجاته السياسية الداخلية. مع ذلك ينظر آخرون، والى حد كبير، الى حزب الله بمنظار ثقافي، أي كحركة إجتماعية سلوكها محدد وفقاً لهواجس وإهتمامات دينية أو حتى معبرة عن الذات – كتجسيد لنضال ديني - ثقافي لأجل التطهر من خلال الصراع والكفاح بدلاً من أن يكون وسيلة مفيدة وصولاً لغاية سياسية أو عسكرية عملانية.

أما بالنسبة لمقصدنا، في كل الأحوال، فإن القضية الأساسية هي الى أية درجة كانت إستراتيجيته بما يخص إدارته لحرب 2006 ذاتها متوافقة ونموذج العصابات التقليدي أو عكسه التقليدي. ولتثبيت هذا الأمر، فإننا نستدل من التصنيف المذكور آنفاً على أربع متغيرات قابلة للملاحظة ليتم تدوينها بما يخص قتال 2006:

توازن القوة الصارمة والقدرة على الإرغام؛
التركيز النسبي للقوة القتالية؛
التنظيم العسكري لمسرح الحرب؛
حساسية الترتيبات بالنسبة للتوجه السياسي للسكان.

توازن القوة الصارمة والقدرة على الإرغام

يعتمد الحد التقليدي للحرب على المستوى الإستراتيجي، وبشدة، على القوة الصارمة للإمساك أو حماية الرهان المتنازع عليه في الصراع من دون أي قرار طوعي بالإستسلام من جانب العدو. بالمقابل، فإن حد حرب العصابات هو حد قدرة إرغام وممانعة طاغية، متحكماً بمهارة بأثمان ومكاسب العدو لحثه على تسليم الرهان الذي قد يكون لا يزال يمسك به أو الصمود إذا ما إختار ذلك. إن القدرة على الإرغام موظفة بشكل واسع، حتى من قبل فاعلين أقوياء في حروب تقليدية رئيسية؛ بالمقابل، فإن القوة الصارمة نادراً ما تواجه فوق المستوى التكتيكي في حرب عصابات كلاسيكية. وبذلك، وعلى المستوى الإستراتيجي، فإن ملاحظة العمل الإرغامي بذاته هو مؤشر ضعيف نسبياً عن الإختلاف بين الأساليب التقليدية وتلك التي لحرب العصابات، لكن كلما كان دور القوة الصارمة في الإدارة فوق المستوى التكتيكي أكبر كلما كانت درجة إقتراب أساليب الفاعل من الحد التقليدي أكبر.

إن إستراتيجية حزب الله العسكرية في 2006، كحال إستراتيجيته الكبرى، هي موضع جدل وخلاف، كما أن وجهات نظر ممثليه المصرَّح عنها حول هذا الأمر غير كافية لإثبات الدور المزمع للقوة الصارمة والقدرة على الإرغام بشكل نهائي. وعلى خلاف تكتيكاته، لا يمكن تحديد إستراتيجية حزب الله بشكل واضح لا لبس فيه بواسطة معلومات متوفرة لدينا لمقابلة مع جيش الدفاع الإسرائيلي. وبذلك فإنه لا يمكن ملاحظة مقصده الإستراتيجي بشكل مباشر. في كل الأحوال، بإمكاننا أن نستدل من سلوك حزب الله الملاحظ على المستويين التكتيكي والعملاني على منطق إستراتيجي يتوافق مع ذلك السلوك، و أن نستثني حسابات مختلفة بديلة مقبولة ظاهرياً، عرضة للفرضية بأن حزب الله فاعل منطقي نفعي (في الحد الأدنى، الشعور بأن نشاطاته وسائل للحصول على غايات سياسية).

تحديداً، إن سلوك حزب الله الملاحظ متوافق ونموذج يكون فيه، والى حد كبير، نمط القوة الصارمة للفن العملياتي الفعال مصمم لخدمة غايات إستراتيجية إرغامية الى حد كبير – توليفة لا تبلغ الحد التقليدي، لكنها مع ذلك توليفة شائعة جداً في حرب قوى كبرى. وبصفته فاعل أضعف بكثير، فهم حزب الله، بالتأكيد، بأن ليس بإمكانه تدمير إسرائيل أو جيش الدفاع الإسرائيلي بقوة السلاح في 2006. كما أنه أدرك بالتأكيد بأن إسرائيل كانت قادرة على غزو لبنان وإعادة تثبيت نفسها أو التوسع على غرار إحتلالها ما قبل عام 2000. وبذلك فإن المتطلب البارز بالنسبة لأي إستراتيجي عاقل ومنطقي في حزب الله كان تصميم وسيلة لردع إسرائيل عن القيام بإعادة إحتلال الأرض كالسابق ، أو إرغامها على وقف هذه العملية إذا ما فشل الردع. ومن حيث المبدأ، كان هناك تشكيلة متنوعة من الوسائل متوفرة لحزب الله للتسبب بإرغام مؤلم ؛ في كل الأحوال، تم تقويض عدد من هذه الخيارات - وخاصة إستخدام المفجرين الإنتحاريين – بواسطة سياسات إسرائيل الأمنية الداخلية والحدودية. إلا أن الصواريخ، التي تتجاوز الدفاعات الحدودية ونقاط التفتيش، ظلت تشكل تهديداً قوياً للمراكز الإسرائيلية الآهلة بالسكان. نظرياً، بإمكان القاذفات الطويلة المدى المنشورة وسط وجنوب لبنان أن توفر تهديد الإرغام الضروري من مواقع تتخطى إمتداد أي غزو إسرائيلي معقول. فالقاذفات الطويلة المدى، في كل الأحوال، هي قاذفات كبيرة، فارقة، وقليلة العدد نسبياً، ما يتركها عرضة لإستهداف عمل تدميري إستباقي بواسطة الضربات الجوية الإسرائيلية. أما الصواريخ الأقصر مدىً فهي أصغر، سهلة الإخفاء أكثر، عددها أكبر بشكل هائل، وهي أقل عرضة لعمل إستباقي جوي على الأرجح – إلا أن مداها حدّ من قدرتها على الإنتشار على مقربة من الحدود الإسرائيلية، ما تركها عرضة للتدمير بواسطة غزو بري. هذا الأمر ترك حزب الله في مأزق محير: فإذا ما أزالوا أسلحتهم الإرغامية الرئيسة من طريق متناول الجيش الإسرائيلي، فإنهم سيكونوا عرضة لسلاح الجو الإسرائيلي؛ وإذا ما إستخدموا أسلحة قابلة للصمود ضد سلاح الجو، فإنهم بذلك سيكونوا في متناول يد الجيش.

أما الحل الظاهري لهذا المأزق المحير فكان الإعتماد بشكل رئيس على الصواريخ القصيرة المدى التي بالإمكان إخفائها لعدم تعرضها لهجوم جوي، لكن لحماية هذه الصواريخ من غزو بري بواسطة دفاع بري لحزب الله فسيكون عليه تبني عقيدة قوة صارمة عملاتية فعالة تمنع جيش الدفاع الإسرائيلي من الوصول الى مناطق قذف الصواريخ. أما المنع الكامل فسيكون أمراً مستحيلاً – فجيش الدفاع الإسرائيلي كان، ولم يزل، قوياً جداً. لكن إذا ما تمكن الدفاع البري من الصمود وقتاً كافياً، فإن ذلك سيمكن الصواريخ المستمرة بالسقوط في هذه الأثناء من التسبب بتصعيد معاناة الإرغام داخل المجتمع الإسرائيلي. علاوة على ذلك، فإن بالإمكان توقع أن تؤدي الضربات الإسرائيلية الإنتقامية الى إثارة الرأي العام الإقليمي والعالمي، ما يضع ضغوطاً سياسية دولية على إسرائيل كي تتراجع. في كل الأحوال، إن أياً من هاتين الآليتين الإرغاميتين ليست سريعة – فهي تستلزم وقتاً لبناء الضغط السياسي كما تستلزم رافعة ضد صناع القرار الإسرائيليين ليخططوا وينفذوا؛ فحتى موجة ضخمة من الهجمات الصاروخية لن يكون لها سوى تأثير إرغامي ضئيل إذا ما كانت عبارة عن تشنج قصير الأجل من دون إمكانية لإستمرارية وتصعيد أطول أجلاً . وبذلك كان المتطلب على المستوى العملاتي الأساسي شراء الوقت الضروري لحرب إرغام لأجل النجاح – لمنع الإسرائيليين من الحصول على إمكانية وصول سريع الى مناطق القذف الأساسية وعلى المستوى الضروري لتفتيش المنطقة ومعالجة الموضوع معالجة كاملة وإستئصال قاذفات الصواريخ المخفية قبل أن يصبح بالإمكان بناء ضغوط كافية على الحكومة الإسرائيلية للتنازل عن القضية موضع الرهان.

هذا المتطلب العملاتي الفعال لم يكن يمكنه أن يلتقي وتكتيكات حرب العصابات الكلاسيكية، التي تسمح لقوات العدو بالدخول الى البلاد لكن تعوقها تدريجياً بسبب وجودها مع التسبب لهذه القوات بإصابات على طريقة إضرب وأهرب. لم يتمكن حزب الله من المحافظة على منظومة قاذفات صواريخ مخفية مدة كافية لما قد يكون عبارة عن آلاف الرؤوس الحربية الصغيرة الإنفرادية (القائمة بذاتها) لبناء، بشكل تدريجي، القدرة على الإرغام إذا ما كان لدى جيش الدفاع الإسرائيلي إمكانية دخول جاهزة الى المنطقة في جنوب لبنان. إن غزواً مختصراً بواسطة عشرات الآلاف من جنود جيش الدفاع قد يؤدي الى تكبد كمائن العصابات مقدار ضئيل من الخسائر، لكن في هذه الأثناء، فإنه قد يُجمِّع كامل قوة حزب الله الصاروخية الرئيسة، يُنهي حرب الإرغام ضد المدن الإسرائيلية، ومن ثم الإنسحاب قبل أن تصبح الإصابات في صفوفه مانعة له أيضاً. إذاً فقد شرع حزب الله ببناء قدرة قوة صارمة دفاعية في جنوب لبنان والتي قد تكون قادرة على تأخير غزو إسرائيلي ما وقتاً كافياً لتمكين إستراتيجية الإرغام من النجاح.

إن هذا التحليل مترابط ومتوافق، بشكل واسع، مع بعض التقييمات لإستراتيجية حزب الله في 2006. إلا أن كثيرين إحتجوا بالقول بأن حزب الله أعدَّ قواته البرية، وكذلك قوته الصاروخية، لتؤدي عملها إرغامياً – كمقاربة عصاباتية كلاسيكية على المستويين الإستراتيجي و العملاتي كان فيهما دور القوة البرية فرض الألم والمعاناة عبر التسبب بإصابات

عسكرية في صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي بدلاً من التنافس على السيطرة على جنوب لبنان. وبالتأكيد، رحب حزب الله بالفائدة الإرغامية لقتل جنود إسرائيليين. إلا أن سلوكهم الملاحظ غير متوافق مع الإستنتاج القائل بأن هذا الأمر كان المهمة الرئيسة لقوات حزب الله البرية.

إن التكتيكات، تحديداً، التي وظفوها فعلياً في 2006 هي أكثر توافقاً وترابطاً مع النية بالإمساك بالأرض منها بالفرضية القائلة بأن السيطرة على المنطقة أمر لا أهمية له وبأن هدفهم كان الإستنزاف بحد ذاته والخاص بحرب العصابات الكلاسيكية. وكما كنا قد حاججنا آنفاً، فقد دافع حزب الله عن مواقعه لوقت طويل جداً، ومن مسافات قصيرة جداً، كما قام بهجمات مضادة غالباً جداً، ليتطابق ذلك مع نموذج المقصد العصاباتي الكلاسيكي. كما أنه لم يستغل إمكانية الإختلاط المدني بالدرجة التي يتوقعها المرء، طبيعياً، من قوة عصابات تقليدية. ولا يعني هذا القول بأن عقيدة حزب الله العملاتية كانت إحدى عقائد دفاع خط ماجينو الثابتة أيضاً – لقد تقبلوا إشتباكاً حاسماً في بعض الأوقات والأماكن لكن لم يتقبلوا إشتباكات أخرى، قاموا بهجمات مضادة لإستعادة بعض الأراضي التي خسروها لكن ليس كلها، إستخدموا الألغام والنيران غير المباشرة لتكملة دفاعات النيران المباشرة المناطقية في بعض الأماكن لكن كوسائل إزعاج ومضايقة في أماكن أخرى. ويبدو بأن نيتهم على المستوى العملاتي كانت التأخير بدلاً من الإمساك بالأرض بشكل نهائي. وكمعظم الجيوش الحقيقية، كانت تكتيكات حزب الله تقع ما بين الحدين (الحد التقليدي والحد العصاباتي). إلا أن تكتيكاته، بشكل خاص، كانت بعيدة عن حد حرب العصابات. فإذا كانت نيتهم مجرد إرغام إسرائيل من خلال قتل الجنود الإرائيليين، فقد كان بإمكانهم القيام بذلك بنسب أكبر بكثير من الخسائر المتبادلة المجدية (وبذلك كانوا إستمروا بعملية إستنزاف كهذه مدة أطول، وقتلوا عدداً أكبر من الإسرائيليين بالقوات المتوافرة لديهم) لو أنهم "لم" يتقبلوا إشتباكاً حاسماً بالإمساك بالمواقع فترة طويلة جداً، أو لو أنهم "لم" يحاولوا القيام بهجمات مضادة، أو أنهم أقنعوا المدنيين بالبقاء بظل قتال أقل شدة وخلطوا مقاتليهم مع السكان المدنيين. إن الخيارات التكتيكية التي إتخذوها في 2006 صعبة التوافق مع نية مفترضة بتقدم القوة الصارمة على الأرض لصالح مقاربة حرب عصابات تقليدية.

من الممكن أيضاً أن إستراتيجية حزب الله كانت نتاج تعبير ديني – ثقافي ذاتي بدلاً من أن تكون خطة منطقية مفيدة لمكافحة تهديد إسرائيلي ما بواسطة قدرة إرغام إستراتيجية وقوة صارمة عملاتية. إذ بالإمكان التعبير عن ثقافة النضال والمقاومة بطرق عديدة؛ ربما يكون النمط الملاحظ للتكتيكات والعمليات قابل، وبشكل فريد، لأن يُنسب لنظام المعتقد الخاص بحزب الله ورؤيته العالمية. فعقب لورانس، في كل الأحوال، مال كثيرون لربط الثقافة العربية بأساليب العصابات بدلاً من ربطها بقوة صارمة تقليدية. وبكلا الأسلوبين، من الواضح بأن النتيجة النهائية كانت برنامجاً إستراتيجياً حاكى، على الأقل، خطة مساعدة منطقياً ذات دقة معتبرة وهامة.

من المهم ، رغم ذلك، عدم عزو الكثير جداً من التبصر وبعد النظر الى حزب الله في 2006. ففي الحد الأدنى، من المعروف بأن حسن نصر الله وقيادة حزب الله كانوا متفاجئين بحدة الرد الإسرائيلي على عملية الخطف في 12 تموز؛ لم يتوقعوا هذا الرد، ولم يعتزموا القيام بحرب على هذا المستوى في 2006 ، وهذا واضح. كما من غير الواضح كثيراً أن تكون الحرب التي وجدوا أنفسهم فيها قد خدمت مصالحهم النهائية – لقد نُظر إليهم عقب الحرب مباشرة، وعلى نطاق واسع، بأنهم ضربوا إسرائيل، لكنهم في هذه العملية، تكبدوا خسائر عسكرية ثقيلة كما أن أنشطتهم جلبت مقداراً كبيراً من المعاناة للمدنيين اللبنانيين. أما على المدى الأطول، فإن هذا الأمر قد يعمل لصالحهم وقد لا يعمل. وبكلا الحالين، فإن الحرب التي أعقبت الخطف لم تحصل نتيجة لأية خطة إستراتيجية كبرى مدمجة وأوسع – لقد نشأت، وبشكل أكثر عضوية، من سلسلة حسابات خاطئة من الجانبين.

وبذلك، فإن حرب 2006، بالنسبة لحزب الله، تبدو على أنها نتاج خطة شاملة بكل معنى الكلمة لإدارة حرب مستقبلية غير محددة مع إسرائيل، الأمر الذي يمكن أن يكون قد ناسب جيداً، أو قد لا يكون، الظروف التي وجدوا أنفسهم بها، لكنها يمكن أن تكون الخطة الوحيدة المتوفرة فعلاً بحسب ملاحظة مقتضبة في ذلك الحين. فمعظم جيوش الدول تطور مروحة من الخطط الطارئة لصراعات مستقبلية محتملة، والتي يعملون عليها في زمن السلم، وذلك مقدماً قبل حصول أزمة فعلية، ومن ثم يضعونها على الرف لإستخدام مستقبلي محتمل. وبذلك فإنهم لا يستطيعون توقع المحددات السياسية للأزمة التي قد تجلب الحرب في أية حالة فعلية. ونظرياً، فهم يُعتبرون مواكبين للعصر ومتكيفين مع الوضع ما أن ينتشر، لكن في حالة حزب الله، كانت حرب 2006 مفاجأة، ولم يترك لهم تصعيد إسرائيل السريع وقتاً كبيراً للتكيف الإستراتيجي. فما قاموا به كان خطة شاملة وسلسلة من الأعمال الدفاعية المحضرة بشكل مدروس ومواقع القذف الصاروخي المطورة لتلك الخطة. إذاً فهم إستخدموا ما كان لديهم. أما النتيجة فكانت حرب متجانسة على المستوى التكتيكي من خلال مستوى مسرح

الحرب – ونتيجة كانت تشبه من جوانب عدة حرب دولة وحرباً تقليدية أكثر مما هو متوقع من فاعلين غير حكوميين – إلا أن هذه الحرب قد تكون، أو لا تكون، خدمت مصالح حزب الله الإستراتيجية الكبرى الأوسع.

التركيز النسبي للقوة القتالية

يوظف رجال العصابات الكلاسيكيين قوات موزعة بشكل واسع وبكثافة متدنية متماثلة نسبياً؛ جيوش تقليدية كلاسيكية تعمل بكثافة أكبر وتتركز بشكل متميز في نقاط محددة. وبذلك كلما كان التركيزالنسبي للمقاتلين أكبر كلما كانت درجة إقتراب أساليب الفاعل من الحد التقليدي أكبر.

كان حزب الله في 2006 أكثر تركزاً من بعض قوات العصابات التاريخية، لكنه بسط عدداً من الجماعات المدربة على القتال على الأرض لإدارة حجم مسرح الحرب في الجنوب اللبناني أقل مما يفعله عدد من جيوش الدول التقليدية التاريخية. إن القوة الدقيقة الحقيقية لحزب الله في 2006 مجهولة، إلا أن التقديرات الغربية تختلف من حد أدنى يبلغ حوالي 2000 مقاتل الى حد أعلى مؤلف من حوالي 7000. وبإفتراض تصور لمعدل وسطي من 4500 مقاتل، ومع ما هو معلوم من مساحة لبنان جنوب الليطاني، فإن هذا يقتضي ضمناً وجود كثافة وسطية من حوالي 6 مقاتلين بكل كيلومتر مربع. بالمقابل، فقد بسط الـ "فييت كونغ" في العام 1964 حوالي 106000 مقاتل على إمتداد بلد مساحته 170000 كيلومتر مربع، بكثافة تبلغ واحد على عشرة فقط لتلك التي لحزب الله. أما على الطرف الآخر للطيف، فقد أكمل الفرنسيون في عام 1940 " خط ماجينو" بـ 75000 جندي على مساحة 1260 كيلومتر مربع، بكثافة تبلغ 10 أضعاف تلك التي لحزب الله. كما نشر الدفاع الأميركي للعربية السعودية في 1990، كما ذكر آنفاً، جنوداً بكثافة بلغت حوالي 5.5 جندي لكل كيلومتر مربع، كثافة بالكاد تكون مساوية لتلك التي لحزب الله.

التنظيم العسكري لمسرح الحرب

إن حرب العصابات الكلاسيكية دفاع مناطقي غير متمايز ومتماثل نسبياً ومن دون جبهة أمامية أو خلفية قابلة للتمييز تشن فيها حرب عصابات حيث يعيش هؤلاء؛ فالجيوش التقليدية الكلاسيكية تفرِّق بين مسرح الحرب بحيث تميز بين مناطق قوة تغطية واضحة ومتمايزة، مناطق معارك رئيسة، مناطق خلفية ومناطق إتصالات، قطاعات المجهود الرئيس، ومناطق قوة دعم أو إقتصاد. وبذلك، كلما كان التنظيم العسكري لمسرح الحرب متماثلاً أو غير متمايز أكثر كلما كانت درجة إقتراب أساليب الفاعل من حد العصابات أكبر.

إن قدرتنا لجهة تمييز التنظيم العسكري على مستوى مسرح العمليات لجنوب لبنان محدودة بسبب إفتقارنا للقدرة على الوصول الى مصادر حزب الله الرفيعة. في كل الأحوال، نحن نعلم بأن قوات جيش الدفاع الإسرائيلي البرية قد دخلت بعض المناطق من دون مقاومة، في حين تم الدفاع عن مواقع أخرى بشدة – وبشكل تمييزي واضح. فعلى سبيل المثال، تم دخول قرية رب ثلاثين في 30 تموز من دون معارضة. وتم الدخول الى بليدا، رشاف، مرجعيون، مروحين وكفركلا، جميعاً، من دون تلقي نيران مضادة. بالمقابل، فإن قرى أخرى مثل بنت جبيل، مارون الراس، الغندورية، الطيبة، محيبيب، دير سريان، عيترون، بيت ياحون، القنطرة، ومركبا قد تم الدفاع عنها جميعاً بجرأة وتصميم؛ فطريق التقدم الطبيعي من خلال وادي السلوقي كان محصناً ومعززاً بالرجال. وتم الدفاع، بشدة وبشكل خاص، عن القرى المسيطرة على مفاصل طرق رئيسة في الجزء الأوسط من مسرح الحرب، كبنت جبيل ومارون الراس، كما المنطقة الأساسية المسيطرة على الطرق المؤدية الى هذه التقاطعات، كمركز "شاكد" العسكري المشرف على مارون الراس، تم تحصينها وتعزيزها وتحولت الى حامية عسكرية. بالمقابل، قدم القطاع الجنوبي الغربي (الناقورة وصولاً الى رامية) إمكانية دفاع أقل ويبدو بأنه لم يُمسك به إلا قليلاً فقط. أما القرى القريبة من الحدود مع إسرائيل فكانت مجهزة للدفاع بشكل أفضل كما كانت أكثر تجهيزاً وتعزيزاً بالرجال من تلك التي في الداخل. فالإمدادات والذخائر كانت مخزنة في مواقع تسيطر على منطقة أساسية؛ يبدو بأن مواقع أخرى نالت تموضعاً إستراتيجياً مسبقاً ضئيلاً.

أما الأمر الأهم، ربما، فهو أن حزب الله مارس درجة من القيادة والسيطرة الهرمية والمميزة على شبه وحدات تعمل في مناطق أساسية خلال الحرب، متخذاً قرارات واضحة لصالح بعض القطاعات على حساب أخرى، ممسكاً ببعض المواقع لكن مطواعاً في أخرى، بالإضافة الى قيامه بهجمات مضادة في بعض المواقع لكن مع إنسحابه من أخرى. لقد عملت سلسلة قيادة رسمية أساسية من مراكز قيادة معينة ومجهزة جيداً؛ إستخدمت أنظمة إتصالات فورية (أنظمة معالجة

فورية) تشمل كابلات خطوط أرضية وأجهزة راديو مشفرة؛ أوامر مُصْدرة؛ خطط متغيرة؛ وحركت بعض وحدات النخبة على مسافات لا بأس بها من مناطق الإحتياط الخلفية لتعزيز المعركة الأساسية لشبكة الإتصالات في القطاع الأوسط.

لا يجب المبالغة بمستوى التميز وأسلوب الربط – فقسم كبير من دفاع حزب الله كان ثابتاً غير متحرك؛ كانت تحركات الإحتياط على مستوى صغير جداً؛ نادراً ما نجح قادة حزب الله بالتكيف مع الظروف المتغيرة بسرعة أو بشكل سريع الإستجابة؛ كما أن حرية حزب الله المحدودة بالمناورة بظل التفوق الجوي الإسرائيلي جعل أي إندماج كبير المستوى للدفاعات المتحركة على مستوى مسرح العمليات أمراً مستحيلاً، حتى ولو كان حزب الله قد حاول ذلك بطريقة أخرى. لكن لا تنسيقهم في جنوب لبنان كان دفاعاً مناطقياً غير متميز من دون فروقات وتمييز بين الجبهة الأمامية والخلفية، ولا قوة المجهود الرئيس والإقتصاد كانا كذلك؛ فمسرح الحرب كان متمفصلاً بوضوح لغايات عسكرية في قطاعات عمليات مختلفة ذات تمايزات بالدور والإهتمام.

حساسية الترتيبات بالنسبة للتوجه السياسي للسكان

يتطلب رجال العصابات الكلاسيكيين دعماً لوجستياً وملاذاً آمناً من الأهالي المتعاطفين ليقاتلوا بفعالية؛ تحافظ الجيوش التقليدية الكلاسيكية على أنظمة لوجستية متخصصة منفصلة ومتمايزة عن السكان والإقتصاد المدني. وبذلك، كلما كانت الدرجة التي ترتبط بها أية لا تماثلات في ترتيبات قتالية مع فروقات إثنية، طائفية، أو ديمغرافية سياسية أخرى أكبر كلما كانت درجة إقتراب أساليب الفاعل من حد العصابات أكبر.

مرة أخرى، هناك حدود لما يمكن معرفته، في هذه الحالة، يعود ذلك في جزء منه الى غياب دليل مقابلة مع كبار قيادة حزب الله، وفي جزء منه الى حدود ما يمكن معرفته حول الديمغرافية الطائفية والسياسية لجنوب لبنان. والأمر الأخير حساس جداً سياسياً، بما أنه لم يكن هناك من إحصاء في المنطقة منذ عام 1932.

مع ذلك، هناك سبب ما للإعتقاد بأن تنسيق وأداء حزب الله قد يكونا تأثرا بالتوجه السياسي للسكان المحليين، خاصة بالتوزيع الديمغرافي للمسيحيين والشيعة. فتاريخياً، كان القطاع الشمالي الشرقي قرب المطلة ومرجعيون ذي ثقل مسيحي، في حين كان الجزء الأوسط للمسرح حول بنت جبيل ومارون الراس شيعياً بأكثريته الساحقة. ورغم أنه كان هناك بعض الدفاعات لحزب الله في الشمال الشرقي، فإنه لم يتم الدفاع عن هذا القطاع بشدة كأماكن أخرى. قد يكون هذا الأمر عكس الصعوبات في صنع إستعدادات دفاعية نظامية وسط سكان غير داعمين – وخاصة، في المحافظة على هذه الإستعدادات سرية ومخفية عن الإستخبارات الإسرائيلية وتعيين موقع الهدف. وبطريقة مشابهة، في كل الأحوال، فقد تم إخلاء معظم القرى اللبنانية قبل وصول جيش الدفاع الإسرائيلي، الأمر الذي مكّن مقاتلي حزب الله من تنظيم أنفسهم للقتال من دون أية ملاحظة لافتة من قبل السكان المدنيين المسيحيين، حتى في المنطقة الشمالية الشرقية. كما أنه من غير الواضح ما إذا كانت القيمة العسكرية المتأصلة للشمال الشرقي متساوية، بالنسبة لحزب الله، مع تلك التي للمنطقة الوسطى، مع شبكة طرقاتها الشديدة الأهمية وقربها الحميم من المدن الساحلية الإسرائيلية الكبرى لجهة الجنوب الغربي. وبذلك فإن العلاقة بين إدارة حزب الله للحرب والديمغرافية السياسية للجنوب اللبناني غير واضحة، لكن من الصعب إستثناء إمكانية صلة ما.

حزب الله وكفاءته التنفيذية في لبنان، 2006

إن التمايز الهام الأخير يتعلق بكفاءة حزب الله التنفيذية. فالأداء غير الملائم والأخرق ممكن سواء حاول المرء القيام بأساليب حرب تقليدية أو حرب عصابات؛ فالأولى خصوصاً، في كل الأحوال، صعبة التنفيذ بشكل جيد من دون مقدار كبير من المهارات المتخصصة والقابلة للتلف. أما حرب العصابات، أيضاً، فتستفيد من التنفيذ الإحترافي الماهر، إلا أن العصابات بإمكانها أن تتدبر الأمر وتحقق نجاحاً من غير جهد بواسطة أساليب "إضرب وأهرب" البسيطة وغير المعقدة والتي يمكن تنفيذها بأقل قدر من التدريب. فالحرب التقليدية الكفوءة والوافية بالغرض على مستوى مسرح العمليات تتطلب تدريباً مكثفاً، خاصة بما يتعلق بمزامنة وتنسيق مناورة ما على مستوى كبير. أما السبب الهام المتعلق بالإنطباع الشائع بأنه لا يمكن للفاعلين غير الحكوميين شن حرب تقليدية وبأنهم سيلجأون الى أساليب غير نظامية بدلاً عن ذلك فيعود للتوقع بأن الأولى (الحرب التقليدية) تتطلب مهارات تتخطى ما هو في متناول أي كان ما عدا جيوش الدول الغنية. إن أية منظمة بإمكانها "محاولة" تنفيذ التكتيكات التقليدية والفن العملاتي المرتبط غالباً بحرب بين دولتين؛ بالمقابل، وللقيام بذلك بشكل "إحترافي للغاية" فإن ذلك أصعب بكثير.

كانت مهارة حزب الله التنفيذية في 2006 متباينة وغير متساوية. فبعض الأشياء تم القيام بها بشكل جيد جداً. فإنتقاء وتجهيز وإخفاء المواقع القتالية، على سبيل المثال، كان فعالاً جداً نظامياً. فنادراً ما كان مهاجمو جيش الدفاع الإسرائيلي

قادرين على تحديد المواقع القتالية لحزب الله قبل إستجرارهم الى إطلاق النار، حتى من مسافات قصيرة جداً. ففي دير سريان، إقترب المشاة الإسرائيليون الى مسافة 50 – 100 متر من مقاتلي حزب الله من دون تحديد موقعهم؛ وفي عيترون، مرت الدبابات مباشرة تحت النوافذ التي إستخدِمت لإطلاق النار عليها من دون رؤية المدافعين أولاً؛ وفي بنت جبيل، كانت المواقع الدفاعية في المباني لا تزال غير مرئية للمشاة المتقدمين صعوداً مباشرة الى الشوارع المجاورة الملاصقة؛ وفي الطيبة، فتح مدافعو حزب الله النار من دون إكتشافهم من مسافة 50 متراً. وغالباً ما مكَّنت المواقع البديلة والمكملة الموجودة ضمن المباني المدافعين المقيمين من البقاء متخفين حتى بعد فترة ممتدة من إطلاق النيران؛ خاصة في القرى قرب الحدود الإسرائيلية، حيث حُفرت الأنفاق بين الأبنية لتسهيل الحركة المتخفية. وفي المنطقة الحدودية، فإن التحضيرات القتالية التي إستُهلت قبل سنوات من الحرب إنتهت في منازل مدنيين تأثر بناؤها نفسه بإعتبارات تكتيكية عسكرية: تم إكتشاف المباني الموجودة في مواقع أساسية مع جدران أكثر سماكة ومعززة من الجوانب المواجهة المرجحة لطرق التقدم من إسرائيل. كما كان لمواقع قتالية أخرى داخلية (في المباني) قرب الحدود أكياس رمل أو تعزيزات أخرى مخبأة في الداخل لتقوية الجدران المواجهة لمناطق إشتباك مزمعة. وكانت المواقع الريفية والخارجية الموجودة في الخلاء مجهزة أحياناً بشكل مدروس جداً، مع مخابئ من الإسمنت الصلب المحفورة في الأرض، حجيرات الذخائر المتعددة، نقاط دخول وخروج سرية مخفية، ومواقع إطلاق نار مموهة بعناية. أما مواقع الصواريخ المضادة للدبابات، بشكل خاص، فكان من الصعب تحديد مواقعها، بسبب النطاق الواسع غالباً لإشتباكات الـ ATGM ونجاح حزب الله في إخفاء القاذفات والطواقم العاملة عليها. أما الدفاعات النهائية لمناطق إطلاق صواريخ الكاتيوشا من المناطق الزراعية، التي سُميت بالـ "الإحتياطات الطبيعية" من قبل جيش الدفاع الإسرائيلي، فكانت ، وبشكل خاص، معقدة ومتشابكة، مموهة جيداً، ومجهزة بعناية – متضمنة أحياناً أنابيب قذف تنخفض وترتفع هيدروليكياً، مستودعات مؤونة معززة بالإسمنت الصلب، أحواض إستحمام للحاميات العسكرية، مداخل ومخارج متعددة، و تحصينات خارجية متصلة ببعضها البعض للتمكين من التحرك السري ضمن المنظومة.

كان عرض حزب الله الناري قوي، متسق، وثابت. إذ كانت الإشتباكات تبدأ، وبشكل نمطي، من قبل حزب الله مع إطلاق نار منسق ومركّز من مواقع متعددة. فالمدافعون سمحوا، وبشكل روتيني، للصفوف القيادية العسكرية بالمرور، فاتحين النار على العناصر التابعة ما أن تكون التشكيلات الأكبر قد تقدمت الى مناطق القتل؛ فنادراً ما كان يتم التخلي عن مواقع بسبب إطلاق نار قبل الأوان من قبل أفراد متوترين.

لقد نسَّق حزب الله، وبفعالية، النيران المباشرة دعماً لهجماته المضادة، غالباً من إتجاهات متعددة. أما حواجز ومواقع مراقبة الـ ATGM فكانت أحياناً مدمجة بمهارة لا بأس بها على إمتداد مسافة عدة كيلومترات؛ فشرق الغندورية، على سبيل المثال، تم وضع سلسلة من حقول الألغام في مواقع سيَّرت الطوابير الإسرائيلية الى داخل مناطق إشتباكات مكشوفة لنيران الـ ATGM من قاذات مخفية موضوعة شمال نهر الليطاني على بعد حوالي 5 كيلومترات. كما كانت قذائف مورتر حزب الله دقيقة وسريعة الإستجابة بشكل ثابت ومتسق.

كانت هناك أمور أخرى نُفذت بطريقة سيئة جداً. إذ برهن حزب الله، تحديداً، عن عدم قدرة على السيطرة أو تنسيق مناورة ذات تشكيلات كبيرة. فالهجمات المضادة، على سبيل المثال، لم تتجاوز مطلقاً قوة فصيلة عسكرية من قسمين، وكان عدد منها أصغر بشكل هام، مع عناصر مناورة فردية صغيرة تصل الى حد 3 – 5 جنود؛ كانت التحركات التراجعية المدروسة محدودة، بشكل طبيعي، بحفنات من المقاتلين في وقت ما؛ غالباً ما قاتلت وحدات عسكرية صغيرة بأعمال حربية ممنفصلة؛ وبينما تم نقل ما بين 60 الى 100 من المغاوير، ربما، على إمتداد مسافات كبيرة، فإنه لم يُتمسَّك بفريق إحتياطي كبير أو القيام بمناورة لمنع التركيز ضد تحركات جيش الدفاع الإسرائيلي، وكانت تحركات قوات حزب الله ضمن دفاعاتهم الأمامية على مستوى صغير وعلى إمتداد مسافات قصيرة. هذا الأمر يجب حفظه في السياق التالي: كان الحجم الكلي لقوة حزب الله القتالية في جنوب لبنان، على الأرجح، دون الـ 7000 مقاتل فعلاً، أو أقل من قوة لوائين من ألوية الجيش الأميركي - وبذلك فإن مناورة بحجم كتيبة أو لواء سيكون أمراً غير واقعي. إلا أن مستوى المناورة التي جربها حزب الله في لبنان كانت مع ذلك صغيرة جداً بالمعايير الغربية.

لم يبرهن حزب الله سوى عن تعاون سلاح حربي مدمج محدود. إذ إستخدموا، وبشكل متواتر، الـ ATGMs بالعمل معاً مع أسلحة صغيرة ورشاشات ثقيلة في النيران المباشرة، كما قاموا بإستخدام هام وبارز لسلاح المورتر – لكن نادراً ما كانت النيران المباشرة وغير المباشرة موحدة ضد أهداف منفردة أو في مناطق إشتباك واحدة. كان هناك إستثناءات: ففي بنت جبيل، علىسبيل المثال، دمج هجوم مضاد لحزب الله دعماً نارياً مباشراً مع نيران قمعية غير مباشرة من أسلحة مورتر من مكان بعيد، والتي إستمرت في الوقت الذي كانت فيه قوات حزب الله تتقدم؛ وفي الطيبة بتاريخ 28 – 29

تموز، تلقت وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي نيران الـ ATGM والمورتر في آن معاً، كل واحدة منها من مسافة عدة كيلومترات؛ في الغندورية، تلقى مهاجمو جيش الدفاع الإسرائيلي، وبشكل مشابه، نيران متزامنة من الـ ATGM والمورتر؛ أما التقدم الإسرائيلي خلال وادي السلوقي فكان عليه تنظيف حقول الألغام بظل نيران الـ ATGM. في كل الأحوال، لم تكن إستثناءات كهذه أمراً شائعاً. كما أظهرحزب الله عدم قدرة على تنسيق الألغام، العوائق، النيران المباشرة وغير المباشرة والتحكم بها بشكل متكامل بإطار دفاع واحد متزامن، أو القيام بذلك على أية جبهة دفاعية ممتدة.

أظهرت قلة من وحدات حزب الله قدرة ظاهرة جداً لجهة التفاعل مع الظروف المتغيرة. فعلى سبيل المثال، غالباً ما توقفت الهجمات المضادة المفاجئة من مواقع تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي مخفية سابقاً بعيداً عن هدف الهجوم وتراجعت بفوضى بدلاً من إعادة التوجيه نحو الهدف الجديد، إعادة توجيه النيران القمعية، والإستمرار بالتقدم. فحيثما كان حزب الله قد نظم دفاعات خطية مستقيمة (ذات بعد واحد) فإنها غالباً ما هوجمت من قبل المهاجمين الإسرائيليين؛ في كل الأحوال، لقد قاتل المدافعون، نمطياً، إما في نفس المواقع وإما إنسحبوا ببساطة، بدلاً من تشكيل جبهة جديدة لمواجهة الهجوم. وبالرغم من أن حزب الله قام بمحاولة واضحة لمراقبة شبكات الإتصالات الإسرائيلية، والتي كان عمل بعضها خال من المخاطر (كشبكات الإخلاء الطبي)، فليس هناك من دليل على أنهم (حزب الله) كانوا قادرين على إستغلال أية معلومات حصلوا عليها.

كانت دقة النيران المباشرة لحزب الله في إصابة الهدف متباينة جداً. فنيران الأسلحة الصغيرة، على سبيل المثال، كانت غير دقيقة منهجياً ولم تتسبب سوى بإصابات قليلة. بالمقابل، كان بإمكان طواقم الـ ATGM ضرب أهداف من مسافات غير عادية: ضُربت الآليات الإسرائيلية المدرعة، وبإنتظام، بواسطة صواريخ أطلقت عن بعد 4 – 5 كيلومترات. في كل الأحوال، أطلق حزب الله، بشكل متواتر، صواريخ كهذه بشكل متتال على أهداف واحدة، وبشكل طبيعي ناورت الآليات المدرعة الإسرائيلية بمراوغة وإستخدمت الدخان للتعمية والإحتجاب حال تعرضها لهجوم. أما نتيجة هذه التوليفة فكانت بأن نسبة ضربات الـ ATGM الى مجموع القذف الصاروخي يمكن أن تكون منخفضة جداً. ففي معركة وادي السلوقي، تم إطلاق وابل من الصواريخ، ربما 12 جولة في وقت واحد، والتي 1 – 2 منها كانت لتصيب أهدافها؛ وقد تلقت كتيبة الهندسة الحربية لجيش الدفاع الإسرائيلي في الغندورية 6 – 8 من الجولات الصاروخية من قبل الـ ATGM في الوقت الذي كانت تناور فيه في الليل من دون إصابات؛ وفي ليل 12 آب في الطيبة، تلقت تشكيلة مؤلفة من أكثر من 15 دبابة أكثر من 12 صاروخ من صواريخ كورنيت أطلقت من قرية يُحمر، شمال نهر الليطاني التي بالكاد تبعد 5 كيلومترات، متسببة بثلاث إصابات، جميعها ضد آليات ثابتة غير قابلة للنقل – لم يتم ضرب أية أهداف متحركة؛ وفي إشتباك آخر في الطيبة، ضرب وابل من صواريخ ساغر بلدوزر D9 إسرائيلية مدرعة؛ وقد أطلق الناجون الدخان، إلا أن حزب الله إستمر بإطلاق النيران من دون أن يحقق نجاحاً آخر. أما النتيجة النهائية فكانت تهديداً قاتلاً كامناً، لكن كلفة كبيرة جداً من الصواريخ لكل هدف يُضرب.

تكتيكات حزب الله في لبنان، 2006

سبق وأن كان سلوك حزب الله عرضة لسلسلة واسعة من التقييمات، معظمها على أساس أحكام ذاتية شخصية بإستخدام معيار غامض، خاضع لمقدار كبير من التباين والإختلاف مع فرص محدودة لإنتهاء من ذلك. إن هدفنا هنا هو تقديم تقييم أكثر قابلية للإستبدال ومنظم (القوانين والأحكام) بشكل موضوعي مع إمكانية أقوى لإندماج هذا التقييم في وجهة نظر إجماعية في المجتمع التحليلي. وللقيام بذلك، فإننا نحدد سلسلة متغيرات مجزأة قابلة للملاحظة بشكل مباشر تتوافق وإختلافات الدرجة والنوع الأساسيين في علم التصنيف المذكور آنفاً؛ ومن ثم ندون (بحسب الأحكام والقوانين) هذه المتغيرات بالنسبة لحالة حزب الله على أساس دليل ملاحظاتي مباشر مستمد بشكل رئيس من مقابلاتنا مع المشاركين في الحرب في جيش الدفاع الإسرائيلي. ومع النتائج التي يتم التوصل إليها لعملية مشابهة بخصوص عرض الإستراتيجية والعمليات، نقوم بعدها بإستخدام المدونات الناتجة لوضع حزب الله على السلسلة المقدمة في نقاش التصنيف المذكور آنفاً.

تحديداً، وعلى المستوى التكتيكي للحرب، نقوم بتدوين قيم لمتغيرات ست متصلة بالدرجة التي يتنافس فيها الفاعل على الأرض ويتقبل إشتباكاً حاسماً، والأسلوب الذي يتم فيه السعي للإخفاء:

فترة المعركة النارية؛

قرب المهاجمين من مكان المدافعين؛

حدوث هجوم مضاد؛

النيران المزعجة وحقول الألغام غير الملتفت إليها؛

قرب المقاتلين من مكان المدنيين؛
إستخدام البزات العسكرية لتمييز المقاتلين من غير المقاتلين.

فترة المعركة النارية

على المدافعين التقليديين الساعين للإمساك بالأرض التي يحتلونها البقاء في مواقعهم طالما هم متعرضون لهجوم. وعلى عكس مهاجم مصمم، بإمكان هذا الأمر إنتاج إشتباكات مطولة واسعة أو سلسلة من المعارك النارية المتجددة في مواقع واحدة. بالمقابل، فإن رجال العصابات الكلاسيكيين الساعين فقط الى التسبب بسقوط إصابات بأدنى حد ممكن من الكلفة والمخاطرة نادراً ما يبقون في مكانهم لفترات ممتدة، حيث أن هذا الأمر يمكّن القوات الحكومية من تثبيت وتحديد مواقعهم وإستحضار قوة نارية لا يقدرون على تحملها. بدلاً من ذلك، تعتبر كمائن رجال العصابات مختصرة، لتمكين هؤلاء من الفرار بعد عملية قذف مفاجئ للنيران من جانب واحد على هدف غير مشتبه به. وبالطبع، سيفشل المدافعون التقليديون المدمَّرون أو المكسورون بسهولة بالإمساك بموقع ما فترة طويلة جداً؛ إذ بإمكان المهاجمين التقليديين المدمرين أو المُبعدين بسرعة إنهاء الإشتباك باكراً. وبذلك بالإمكان ملاحظة معارك نارية مختصرة إما في الحد التقليدي أو العصاباتي للحرب. إلا أن معارك نارية مطولة ضد مواقع منفردة لا تتوافق وحد تكتيكات حرب العصابات وتطرح بدلاً عن ذلك محاولة الإمساك بالأرض. وبذلك كلما طالت فترة المعركة النارية الملاحظة، كلما كانت درجة إقتراب أساليب الفاعل من الحد التقليدي أكبر.

أما في حرب لبنان 2006، فغالباً ما إشتبك مدافعو حزب الله بمعارك نارية مطولة جداً – بالتأكيد أطول مما يمكن للمرء أن يتوقعه من رجال عصابات لا نية لديهم بالإمساك بالأرض. فعلى سبيل المثال، وفي موقع "شاكد" ظل موقع دفاعي متخندق لحزب الله موجوداً في مكانه على قمة تلة حساسة قرب الحدود الإسرائيلية بين مستوطنة أفيفيم وبلدة مارون الراس يتبادل إطلاق النيران مع دبابات جيش الدفاع الإسرائيلي والمشاة لأكثر من 12 ساعة قبل أن يتم تدميره في النهاية بواسطة النيران الإسرائيلية. أما في مارون الراس فقد أمسك مدافعو حزب الله بمواقعهم على إمتداد 5 – 7 ساعات من النزاع مع مهاجمي جيش الدفاع الإسرائيلي. وفي بنت جبيل، خاض مدافعو حزب الله سلسلة من المعارك المرتبة، القوية والعنيفة لفترة إمتدت أكثر من 4 أيام، بما في ذلك معارك نارية منفردة طالت 8 ساعات، كما حدث في 26 تموز، و6 ساعات، كما حدث في 28 تموز، وإستمر قتال متقطع في داخل البلدة حتى نهاية الحرب في 14 آب. أما في بلدة الغندورية، فقد دام القتال أكثر من يومين (12- 14 آب)، بما في ذلك معارك نارية من 7 – 8 ساعات في وقت واحد. ودامت معركة الطيبة في 29 – 30 تموز مدة 24 ساعة، بما في ذلك 4 – 5 ساعات من القتال الشديد خاصة عند المراكز العسكرية القريبة. وشهدت القنطرة إشتباكاً طويلاً دام 4 ساعات. وفي وادي السلوقي، تلقت فرق الـ ATGM لحزب الله المحتلة لسلسلة مواقع في العمق نيراناً مضادة من قبل دبابات الميركافا الإسرائيلية بعد عمليات إطلاقهم الأولى للنيران، لكنهم صمدوا في أرضهم وإستمروا بإطلاق 10 صواريخ إضافية على الأقل، ليتوقفوا عن إطلاق الصواريخ والإنسحاب فقط عندما إستُخدمت مدفعية جيش الدفاع بشكل مفيد. بعض الإشتباكات كانت أقصر، لكن عدداً منها تحمل وإستمر لساعات أو أيام عدة.

قرب المهاجمين من مكان المدافعين

على المدافعين التقليديين الساعين للإمساك بالأرض التي يحتلونها ضد مهاجم يتقدم الثبات على تلك الأرض حتى عندما يقترب المهاجم، أو يصل، بشكل محتمل، الى مواقعهم. بالمقابل، فإن رجال العصابات التقليديين الساعين فقط الى التسبب بإصابات في صفوف العدو بأقل حد ممكن من الكلفة والمخاطرة نادراً ما يسمحون لقوات حكومية متفوقة بالإقتراب منهم عبر أي تقدم واسع تحت النار. فالمخاطرة بإشتباك حاسم تتزايد ما إن يقترب المهاجم من المدافع؛ فالسماح لمهاجم بالإقتراب كثيراً من مكان المدافع يعني المخاطرة بأن يكون الأخير عاجزاً عن كسر الإحتكاك والهرب. إذ ستشتعل أحياناً كمائن ذات تركيز ناري طاغي موجهة فجأة ضد هدف مكشوف من نطاق قريب لزيادة مستوى المفاجأة والدقة الى أقصى حد، إلا أن تكتيكات كهذه تعتبر مخاطرة بالنسبة لرجال العصابات وعند الشروع بها يجب الإنتهاء منها بسرعة. وبذلك، تميل الحرب المتواترة من مسافة قريبة، وخاصة أن المسافة القريبة تحتمل أكثر من بضعة دقائق من الوقوع في كمين مفاجئ، لأن تتضمن سلوكاً أقرب الى الحد التقليدي للحرب. أما الأمور الأخرى فمتساوية، فكلما كانت ملاحظة حصول قتال حول مراكز عسكرية قريبة أكبر كلما كانت الدرجة التي تقترب فيها أساليب الفاعل من الحد التقليدي للحرب أكبر.

أما في لبنان، فقد أمسك مدافعو حزب الله بمواقعهم بشكل متواتر وإستمروا بإطلاق النيران حتى بعدما إقترب مهاجمو جيش الدفاع الإسرائيلي الى مسافات قصيرة جداً – غالباً جداً ضمن حدود إشتباك حاسم بالنسبة للمدافعين. فموقع حزب

الله الدفاعي عند "شاكد" ، على سبيل المثال، أغرق بهجوم إسرائيلي في النهاية؛ إذ قتل مقاتلو الحامية العشرون جميعاً من دون أية محاولة إنسحاب أو إستسلام على إمتداد 12 ساعة من المعركة. وكانت دفاعات حزب الله في مارون الراس وبنت جبيل ممسوكة بشكل مشابه الى حين تدميرها في قتال عن قرب بعد تقدم واسع لمسافات بلغت حتى 10 – 100 متر، من دون محاولة ظاهرة لكسر الإحتكاك أو الإنسحاب. وفي مارون الراس، عيترون، ومركبا، أوقف مدافعو حزب الله نيرانهم الى حين قيام مشاة جيش الدفاع المتقدمون بتمرير مجموعاتهم العسكرية المتمركزة قريباً من القوة الرئيسة لحمايتها من هجوم مفاجئ، لكن بشكل بعيد نسبياً عن مركز القتال، وليصبح هؤلاء ضمن مرمى النظام الدفاعي نفسه، ما يجعل الإنسحاب أمراً مستحيلاً. ففي بنت جبيل سمح مدافعو حزب الله للدبابات الإسرائيلية بإجتياز الشارع تحتهم بمحاذاة النوافذ ، فاتحين نيران الأسلحة الصغيرة ضد قادة آليات جيش الدفاع المدرعة الواقفين في فتحة حجيرة الآليات المفتوحة من مسافة أقل من 20 متراً. أما في مارون الراس فقد قاتل مدافعو حزب الله، وحرفياً، من غرفة الى غرفة داخل مباني بعدما دخلها مهاجمو جيش الدفاع. وفي الغندورية، فإن المدافعين الذين كانوا مطوَّقين من جانب الجيش، لكن الذين حافظوا على طرق هرب محتملة عبر البلدة، بقوا مع ذلك في مواقعهم وتم تدميرهم في النهاية في قتال عن قرب؛ لم يتمكن مهاجمو جيش الدفاع الإسرائيلي من التقدم سوى 600 متر فقط في يوم من القتال الشديد. وتم إسترداد 57 جثة لمقاتلي حزب الله من البلدة. أما في الطيبة، فقد خسرت حامية حزب الله 20 من مقاتليها من أصل 30 في قتال عن قرب قبل أن يُؤمروا بالإنسحاب. وفي عيترون، إنسحب المدافعون فقط عندما أصبح واضحاً بأن موقعهم أصبح غير ذي صلة تكتيكياً – فجيش الدفاع الإسرائيلي كان قد تجاوزهم، ووصل الى مارون الراس من المنطقة الجنوبية الغربية متنازلاً عن الموقع العائق في عيترون عديمة الأهمية العملية. أما في حداثا فقد ظل حوالي 30 مقاتلاً في موقعهم في القرية حتى يوم الهدنة، حتى بعدما إحتل جيش الدفاع، إسمياً، القرية. وبذلك فقد كان هناك حجم واقعي لا يستهان به من حرب المراكز العسكرية عن قرب في العام 2006؛ ربما يكون بعض المدافعين المشتركين في الحرب قد توقعوا إبادة المهاجمين، بشكل آمن، عن طريق المفاجأة من مسافة مباشرة وقريبة جداً من الهدف بحيث لا يمكن إخطاؤه، لكن في كثير من هذه الحالات، كان المدافعون يتقبلون إشتباكاً حاسماً في سياق حرب نارية مطولة والذي هو أكثر ترابطاً وتوافقاً مع النية بالإمساك بالأرض.

حدوث هجوم مضاد

على المدافعين التقليديين الساعين للإمساك بالأرض القيام بهجوم مضاد دورياً لإستعادة مواقعهم المفقودة. في كل الأحوال، وبالإقتراب بشكل مدروس من العدو في عملية هجوم مضاد، يشتمل هذا الأمر عادة على درجة من الإنكشاف أكبر من الدفاع المحضر جيداً. إن رجال العصابات الكلاسيكيين الساعين الى إستنزاف العدو من جانب واحد لكن ليس إستعادة الأرض يقومون بإستخدام هجوم مضاد مدبر جيداً عن طريق المناورة. وبذلك، كلما كان حدوث الهجوم المضاد الملاحظ أكبر، كلما كانت الدرجة التي تقترب فيها أساليب الفاعل من الحد التقليدي للحرب أكبر.

لم يقم حزب الله، بشكل روتيني أو بشكل خاضع لنفس القاعدة، بهجوم مضاد عند دفعه عن مواقعه، كما فعل المدافعون الإلمان بشكل نموذجي، على سبيل المثال، في الحرب العالمية الثانية. لكن هناك أمثلة متعددة موثقة، مع ذلك، لهجمات حزب الله المضادة في 2006. ففي مارون الراس في 20 تموز، قام 15 الى 30 مقاتل من حزب الله بهجوم مدروس على موقع لكتيبة عسكرية تحتل مجموعة مباني على قمة تلة 951. إذ إنقسم مهاجمو حزب الله الى مجموعتين، مدعومتين بقوة نارية من مبنى مدرسة في البلدة شرق التلة، ليضربوا الكتيبة الإسرائيلية في آن معاً وعن طريق المفاجأة، فاتحين النار من مسافة 40 متراً، موفرين الدعم لمحاولات متعددة بعد تعرضهم للضرب والإخفاق مبدئياً، ليتوصلوا في النهاية الى قتال مباشر بالأيدي مع المدافعين. وفي بنت جبيل، قامت وحدة عسكرية من 40 - 60 مقاتل بمهاجمة الدفاعات الإسرائيلية على تلة 850. وكان المهاجمون منقسمون مرة أخرى الى مبادرتين: رئيسة وثانوية، مع دعم الـ ATG M من إتجاهين ودعم ناري غير مباشر متباعد ومتفرق من فرق قذائف المورتر المتموضعة بعيداً. وإقترب الهجوم ضمن نطاق 10 أمتار من المواقع الإسرائيلية قبل أن يتم دفعه. وفي الحي القديم لعيتا الشعب، هاجم مقاتلو حزب الله مجموعة من المباني المحمية لجيش الدفاع ونجحوا في الدخول إليها. وفي محيبيب هاجم 15- 20 مقاتل من حزب الله مواقع دفاعية لجيش الدفاع في مجموعات من 3- 4 مقاتلين، تعمل على محاور متعددة، ومدعومة بالإسناد الناري. أما في الغندورية، فقد قام فريق واحد مؤلف من 3- 5 مقاتلين بهجوم مضاد على جيش الدفاع بعد إنتزاعه مواقع لحزب الله في الحي القديم للقرية. وفي دير سريان، هاجم مقاتلو حزب الله مواقع إسرائيلية من جهتين مع دعم ناري من قذائف الآر بي جي الصاروخية (RPGs). وفي الطيبة في 29 تموز، قام 10 من مقاتلي حزب الله بهجوم مضاد بعدما كان جيش الدفاع السبَّاق في الإستيلاء أولاً على منازل محتلة من قبل حزب الله، في محاولة ظاهرة لإستعادة المبنى. بالواقع، هناك

تفسيرات عديدة للهجمات المضادة الظاهرة من الجانب الآخر للمسرح؛ في كل الأحوال ليس بالإمكان تمييزها كلها بشكل واضح لا لبس فيه عن تحرك مربك بإتجاه مواقع إسرائيلية غير مستكشفة، محاولات وضع كمائن، أو أنشطة أخرى قد لا تكون تشتمل على النية بإستعادة الأرض المفقودة.
علاوة على ذلك، لم تكن أي من هذه الأعمال على مستوى أكبر من مستوى فصيل عسكري من قسمين (أو أكثر)، ولم تنجح أي منها في تأمين هدفها على الأرض. إلا أن كل الإشتباكات المذكورة آنفاً كانت محاولات مدروسة لا لبس فيها للإقتراب من المدافعين الإسرائيليين في المواقع التي إستولى عليها جيش الدفاع بطرق تتضمن النية بإسترجاع الأرض المفقودة.

النيران المزعجة وحقول الألغام المسيَّبة

إن المدافعين التقليديين الساعين للإمساك بالأرض عن طريق وقف تقدم المهاجم المصمِّم يتطلب نيراناً مصوبة نحو الهدف وبحجم ثقيل. أما حقول الألغام وأنظمة العوائق الأخرى فبإمكانها أن تكون مساعدة بشكل كبير لأي مدافع، إلا أن قدرتها على وقف المهاجمين تنخفض كثيراً إذا لم يكن العائق محروساً بشدة بواسطة نيران مباشرة للتدخل بالتصفية أو الحؤول من التقدم . فالنيران المباشرة المصوبة، في كل الأحوال، تتطلب إنكشافاً للرد على النيران. أما رجال العصابات الذين لا يسعون الى وقف تقدم ما كلياً وإنما مجرد التسبب بإصابات فإن بإمكانهم تجنب الرد بالضرب من مسافة آمنة مع نيران غير مباشرة مزعجة وحقول ألغام مسيَّبة، وغالباً ما سيفضلون هذا الأمر. وبإمكان النيران المزعجة وحقول الألغام المسيبة أن تحدث في أي نوع من أنواع الصراعات، إلا أن النيران الثقيلة غير المباشرة وحقول الألغام أو العوائق المرتبطة بالحراسة النارية المباشرة البالغة تكون بذلك أكثر شيوعاً في الحروب التقليدية منها في حرب العصابات. وبذلك، فإنه كلما كان هناك ملاحظة أكبر لنيران ثقيلة غير مباشرة ولحقول ألغام محروسة بشدة كلما كانت درجة إقتراب أساليب الفاعل من الحد التقليدي للحرب أكبر.
لقد قام حزب الله في 2006 بإستخدام مهم ومعتبر للنيران غير المباشرة في الميدان، خاصة قذائف المورتر، كما لغَّم مناطق ممتدة أساسية من الجنوب اللبناني. لكن نادراً ما كانت مورتر حزب الله مركزة أو كثيفة. كان هناك إستثناءات: في مركبا، على سبيل المثال، تلقت وحدة واحدة من جيش الدفاع الإسرائيلي 120 جولة من جولات المورتر، على الأقل، في سياق الهجوم. وبالطبع، كانت نيران صواريخ حزب الله على الأهداف المدنية الإسرائيلية شديدة ومستمرة. في كل الأحوال، كانت معظم إستخدامات المورتر في الميدان دقيقة لكن ضئيلة في حجمها ومتغيرة في إستهدافها. وكان توظيف حزب الله لحقل الألغام مرتبطاً أحياناً بأنظمة نيران مباشرة دفاعية بطريقة منهجية وأحياناً لا. فهذه الدفاعات في الغندورية، على سبيل المثال، تضمنت ألغاماً وعوائق محروسة بشدة بالأسلحة النارية. فالطريق الرئيسة المؤدية صعوداً من وادي السلوقي وصولاً الى نهر الليطاني كانت ملغمة ومراقبة بشدة من قبل مواقع الإسناد الناري المخفية جيداً، ما تطلب من جيش الدفاع الإسرائيلي الشروع بتطهير هجومي مدروس بواسطة فرق موحدة من الجيش من مهندسي القتال، الدبابات والمدفعية. أما دفاعات حزب الله في مارون الراس فكانت منسقة مع تلغيم مدروس للطرق الرئيسة عند تقاطع الـ 8؛ أشعل تفجير هذه المتفجرات عمل النيران المباشرة دفاعاً عن البلدة في 20 تموز.وكانت بعض حقول الألغام جنوبي الليطاني منظمة لكي تشق آليات جيش الدفاع الإسرائيلي طريقها الى داخل أرض مفتوحة ضمن نطاق ومرمى مواقع الإسناد الناري شمال نهر الليطاني. مع ذلك كان بالإمكان تجاوز معظم حقول ألغام حزب الله الممتدة بسرعة وسهولة، كما واجه مهندسو القتال الإسرائيليين بضع عوائق دفاعية مندمجة ما تطلب تطهيراً قتالياً مدروساً تحت النار. وكانت الألغام والقنابل المموهة شائعة، خاصة في البيوت المتروكة وحولها، لكن قليلاً ما حصل قتال فعلي عبر أنظمة العوائق المحمية، كما أن النيران الكثيفة غير المباشرة ضد قوات الهجوم في عمليات فتح ثغرات في التحصينات لم تكن متواترة.

قرب المقاتلين من مكان المدنيين.

يحصل رجال العصابات الكلاسيكيين على قسم كبير من غطائهم وإختفائهم عن طريق الإختلاط مع المدنيين الأبرياء؛ إذ تتجنب الجيوش التقليدية الكلاسيكية المدنيين حيثما أمكن ذلك كما تميل للحصول على الغطاء والإخفاء من المنطقة بدلاً من الإختلاط مع المدنيين. وبذلك، كلما كان إقتراب المقاتلين من المدنيين أكبر، كلما كانت درجة إقتراب أساليب الفاعل من حد حرب العصابات أكبر.
وغالباً ما وُصف حزب الله على أنه إستخدم المدنيين كدروع بشرية في 2006، وبأنهم قاموا، في الواقع، بإستخدام واسع لمنازل مدنيين كمواقع قتالية للنيران المباشرة ولإخفاء قاذفاتهم لإطلاق الصواريخ الى داخل إسرائيل. مع ذلك، فإن القرى

التي إستخدمها حزب الله لإرساء نظامه الدفاعي في جنوب لبنان كانت، والى حد كبير، خالية بالوقت الذي عبرت فيه القوات البرية الإسرائيلية الحدود في 18 تموز. وبالنتيجة، كانت ميادين المعارك الأساسية في الحرب جنوبي نهر الليطاني، بمعظمها، خالية من المدنيين، ولم يذكر المشاركون في جيش الدفاع في تقاريرهم، وبشكل متماثل ومترابط، إختلاطاً ذي معنى لمقاتلي حزب الله مع غير المقاتلين أو أنهم ذكروا القليل منه. كما لم يكن هناك من أي تقرير نظامي لإستخدام حزب الله لمدنيين في منطقة القتال كدروع بشرية. فالقتال في جنوب لبنان كان مدينياً، في مناطق مبنية من القرى والبلدات الصغيرة أو المتوسطة الحجم النموذجية للمنطقة. لكنه لم يكن مختلطاً بشكل بارز مع سكان مدنيين الذين كانوا قد فروا بالوقت الذي بدأ فيه القتال البري. لقد قام حزب الله بإستخدام فعال للغطاء والإختفاء (أنظر لاحقاً)، لكن هذا الأمر تم الحصول عليه بالكامل تقريباً من المنطقة - الطبيعية والتي من صنع الإنسان.

إستخدام البزات العسكرية لتمييز المقاتلين من المدنيين

تستخدم الجيوش التقليدية الكلاسيكية البزات العسكرية أو علامات تمييز أخرى لتمييز المقاتلين من غير المقاتلين؛ يسعى رجال العصابات التقليديين للإندماج والتمازج مع المدنيين بدلاً من تمييز أنفسهم عنهم، ولذلك فإنهم غالباً ما يرتدون نسخات من الثياب المدنية النموذجية.وبذلك كلما كان حصول وجود مقاتلين ببزاتهم العسكرية أكبر، كلما كانت درجة إقتراب أساليب الفاعل من الحد التقليدي أكبر.

في 2006، إرتدى أكثرية مقاتلي حزب الله بزات عسكرية. بالواقع، كانت ثيابهم وتجهيزاتهم مشابهة بشكل لافت لتلك التي لكثير من جيوش الدول – الثياب العسكرية الخضراء أو الرملية، خوذات الرأس، سترات الأمان، الدروع الجسدية، سلاسل العنق المعدنية الحاملة لهوية المقاتل، وشعارات الرتبة. وبالمناسبة، لقد ترددت وحدات جيش الدفاع بإطلاق النار على فرق حزب الله في الهواء الطلق لأن حقائب أمتعتهم بدت، عن بعد، تشبه كثيراً تلك التي لمشاة جيش الدفاع: ففي العديسة أخطأ الإسرائيليون بهوية 7 من مقاتلي حزب الله الى حين لاحظ جندي إسرائيلي بأن أحدهم كان يرتدي حذاء رياضي. مرة أخرى، كان هناك إستثناءات: ففي مارون الراس شوهد معظم المقاتلين وهم يرتدون بزات عسكرية، لكن لوحظ بعض المقاتلين المسلحين أيضاً بثياب مدنية؛ إذ عُثر على 2 من أصل 20 جثة لمقاتلين من حزب الله في الطيبة بثياب مدنية؛ ولوحظ 2 من المقاتلين بثياب مدنية في بلدة فرون وبضعة آخرين في القنطرة؛ وفي الطيري، لوحظ مقاتلون في سراويل عسكرية لكن من دون قمصان. إلا أن الأكثرية الكبرى من مقاتلي حزب الله في 2006 كانوا مرتدين لبزات عسكرية وبالإمكان تمييزهم عن المدنيين.